ردود على شبهات القائلين بكروية الأرض

إعداد :

أبو الفداء محمد بن إلياس المغربي

هداه الله

(تهدى و لا تباع)

- دار التوحيد -

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (13) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15)﴾

[الحجر : 14-15]

هذه المطوية تحتوي على ألفاظ الجلالة وآيات قرآنية و أحاديث

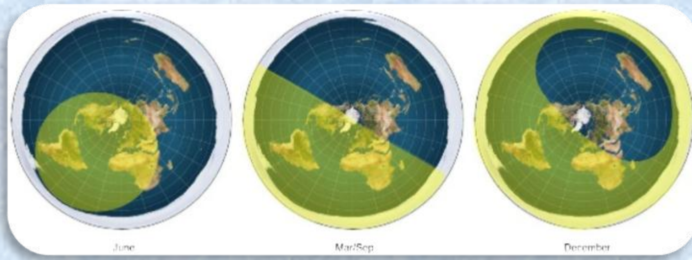
احذر من تركها في مكان مهين

صورة التقطها القمر ... مسطحة و السماء قبة مبنية فوقها كما ورد في كتاب الله و سنة نبيه ﷺ مكذبة لوكالة الدجال نازا

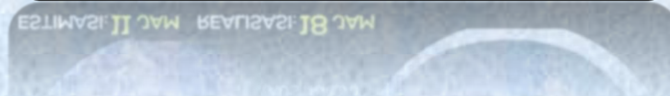


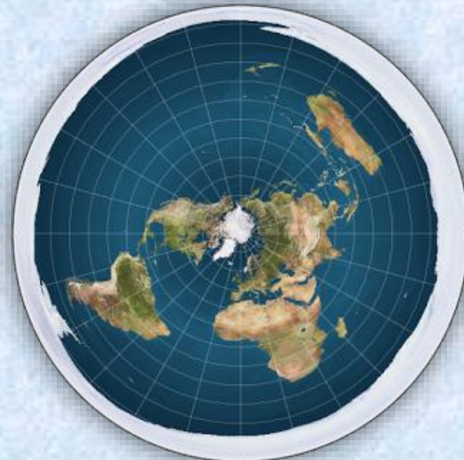












بسم الله الرحمان الرحيم

و الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين محمد و على آله و صحبه أجمعين و بعد :

فهذه ردود على جملة من الشبهات التي يرددها القائلون بكروية الأرض مستندين بذلك على ما تأولوه مما جاء في كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم فنسأل الله العظيم الهداية و التوفيق :

1- **الشبهة الأولى :**

قوله تعالى : { وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }

قالوا : "كل" تدل على العموم فكل من الشمس و القمر و الليل و النهار يسبحون، قالوا قد علمنا أن كل من الشمس و القمر يسبح في فلكه فكيف يسبح الليل و النهار و هما زمانان، فلا شك أن الحركة إنما هي للأرض و أراد بقوله الليل و النهار الأرض لا الزمان.

لأن الليل هو حالة السواد الموجودة على سطح الأرض و النهار هو حالة الضياء الموجودة على سطح الأرض

و قالوا : مما يؤيد هذا قوله تعالى : { يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ} فإن التكوير هو لف شيء على شكل كرة ففيه إشارة واضحة إلى كروية الأرض و قوله تعالى : (وَمِنْ رَحْمَته جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) قالوا "تسكنوا" بمعنى السكنى لا السكون الذي هو ضد الحركة و عضدوا هذا بقوله تعالى : (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) من السكنى أي الإستيطان المعداة بـ"في" كما في قوله تعالى : (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ)

قالوا والإستيطان لا يكون في الزمان بل في المكان

و بهذا يتبين أن التقليب في قوله تعالى : (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) إنما هو للأرض فبتقلب الأرض يحدث الليل و النهار.

- **الرد :**

إن كل من الليل و النهار و الصبح و الضحى و المساء و الشهر و السنة تدل على أزمنة تحل فيها الأحداث بإجماع العقلاء فضلا عن العلماء و مما يدل على هذا في الليل قوله تعالى "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)" و لم يرد بالتنزيل هنا في الأرض بل في الليلة المباركة فالمفاضلة بين الليلة و الألف شهر إنما تكون بين نوعين من نفس الجنس و هو الزمان لا بين المكان و الزمان و كذلك ينزل ربنا تبارك و تعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الآخير من الليل هل يعني أنه ينزل في الأرض كلا، فالله خالق المكان و الزمان كما دلت عليه الآيات و إنما جعل الله ظلمة الليل و ضياء النهار علامة على الزمانين لنسكن فيهما و لنبتغي من فضله و لنعلم عدد السنين و الحساب كما قال : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا)

أما قولكم : { يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ} فإن التكوير هو لف شيء قلنا صحيح لكن من قال أن ذلك الشيء يجب أن يكون الأرض أو مكان ؟ فإن إضافة التكوير لليل و النهار يدل على إضافته لما جعله الله علامة عليهما و هما الإضاءة و الظلمة لا الأرض التي تحصل فيهما و هو لف الظلمة على الإضاءة و العكس كما جاء في التفاسير و لم يقل أحد من المفسرين أن المراد بالليل و النهار هو الأرض ثم إنه قد جاء في تفسير القرطبي : قال الضحاك : أي يلقى هذا على هذا وهذا على هذا وهذا على معنى التكوير في اللغة وهو طرح الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع أي ألقى بعضه على بعض ومنه كور العمامة وقد روي عن بن عباس هذا في معنى الآية قال : <u>**ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل**</u> وهو معنى قوله تعالى : يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل (سورة فاطر) وقيل : تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه ويغشي النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة وهو معنى قوله تعالى : يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا
و ذكر الخازن في تفسيره قال : وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكرّ أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما
فتأمل كيف كانت إضافة التكوير لليل و النهار تغشية أحدهما للآخر و لفه عليه و إنقاصا للآخر و إدخاله في الأول و هو إيلاجه فيه و العكس.
فقولوا لنا بربكم كيف ينقص من الليل ما يزاد في النهار و ينقص من النهار ما يزاد في الليل إذا كانت الأرض كروية حيث النصف المضيء منها نهار و الآخر ليل، ألا ينبغي لهما أن يبقيا نصفين متساويين؟
فمهما أدرت الكرة المضاءة بمصباح لن تجد تناقص لأحد الجزئين، بينما يكون هذا ممكنا في الأرض المسطحة و سنوضحه إن شاء الله.
أما قولكم قوله تعالى : "لتسكنوا فيه" من السكنى بمعنى الإستيطان و الإستقرار فصحيح و لكن كل منهما يحتاج لزمان ليقع فيه فقصر الإستقرار و السكنى على ظرفية المكان هو تحكُّم بلا برهان فمجرد المكان لا يمكن أن يحدث فيه شيء من الحوادث لا خلق و لا رزق و لا تدبير و لا نزول في الثلث الأخير من الليل فالزمان محل للحوادث كما أن المكان محل للأجسام.

أما التقليب قد أضافه الله لليل و النهار لا للأرض و هو ممكن على الأرض المسطحة كما سنبين إن شاء الله فليس بنص على كروية الأرض.

2- **الشبهة الثانية :**

قولهم إن قول الله تعالى: { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) } لا يدل على التسطيح المطلق للأرض و إنما السياق يدل على دعوة العباد إلى النظر إلى تسطيح الأرض من بصرهم المحدود كما يدل على دعوتهم للنظر إلى كل من خلق الإبل و رفع السماء و نصب الجبال.

- **الرد :**

هذا بلا شك افتراء على الله تعالى في دعوته للعباد فهو لم يقصر في سياقه النظر على ما وصفتم بل أطلق فقال "أفلا ينظرون" ففيه مادة "ن ظ ر" فيقال نظر ينظر نظرا و المصدر المنكر "نظر" يدخل في قوله "ينظرون" فهو فعل مضارع يدل على مصدره و هو النظر و لا يدل على تعريفه فهو منكر في سياق الحث و التحضيض و هو دون شك يعم فمن أراد إخراجه من العموم فليأت بقرينة تخرجه و إلا فقوله مردود، ثم إذا عرفت دلالته على العموم فإن النظر العام إلى كيفية خلق الإبل لا يجوز قصره على النظر المحدود بالبصر و كذا السماء و الجبال و الأرض و مما يوضح هذا قوله تعالى : "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)" فلم يجعل الآيات للنظر القاصر المحدود بل غَيَّاها بلفظ "حتى" فهي مغياة إلى جميع ما وصل إليه الإمكان البشري إذ هو داخل بلا شك في قوله تعالى : "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" فحثهم على النظر و هو من التكليف الرباني حتى يتبين لهم أنه الحق من ربهم، فالناس يتفاوتون في هذا الأمر فمنهم من يكفيه بعض الآيات القرآنية ليؤمن فيكون النظر في غيرها بعد ذلك زيادة إيمان لإيمانه و منهم من ينظر و يزيد في النظر حتى يعرف أنه الحق و لذلك فقصر النظر هنا على البصر المحدود هو تحكم بغير برهان فهو لم يقل "يرون" بل قال "ينظرون" فقصره على النظر المحدود يصادم شأن الله في دعوة العباد للتأمل في آياته الكونية فالسياق يدل على دعوة الناس إلى النظر لهذه الأربع بحسب وسعهم و تأمل قوله تعالى : "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192)"

أيظن أن الله حث عباده على التفكر في خلق السماوات و الأرض بإعمال البصر المحدود فقط؟، كلا و حاشا فهو لم يجعل لهم أسماعا و أبصارا و أفئدة ليقصروا في إعمالها و قد ذم من لم يعملها في طاعته كما قال : "وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (26)"

فوصفهم بأنهم متمكنين بما مكنهم فيه ففيه بلا شك تكليف لهم بحسب ما مكن لهم و جعل لهم " سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً " ليعملوها في معرفة الحق و اتباعه " فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"

فليس حث البشر للبشر بالنظر كحث خالقهم لهم بالنظر فهما متباينان بقدر التباين بين الخالق و المخلوق، و من هنا يتبين أن قوله تعالى : { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) } ليس كقول شخص لك : أنظر أمامك كيف تجد الأرض ؟

و لا شك أن قوله تعالى أدعى للتأمل في سطحية الأرض و أن من جعلها مسطحة غير كروية أحق بأن يعتبر بخلقه و أنه لا أحد يستطيع فعل مثل ذلك و لهذا قال عطاء عن ابن عباس في هذه الآيات : يقول: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل، أو يرفع مثل السماء، أو ينصب مثل الجبال، أو يسطح مثل الأرض غيري؟! وهل يفعل مثل هذا الفعل أحد سواي ؟!

قال مقاتل: فلم يعتبروا بما رأوا من صنعه وعجائبه.

ثم تأمل تفسير السلف لسورة الإنشقاق و هو يذكر أحداث يوم القيامة إذ قال : {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} قال ابن عباس: تمد مد الأديم ويزاد في سعتها كذا وكذا. قال مقاتل: سويت كمد الأديم، فلا يبقى عليها بناء، ولا جبل، إلا دخل فيها. فلم يذكروا إلا زوال ما يعلو عن سطحها و لو كانت كروية لكان ذكر زوال كرويتها أدعى للذكر و أدخل في المعنى، فلما لم يذكروا إلا زوال ما يعلو عن سطحها عُلم أنها لم تكن كروية من قبلُ، و أن هذا الإمداد يحصل لها بعد الإمداد الذي ذكره تعالى في قوله تعالى : "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19)" فعلم أن إمداد قوله تعالى {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} هو إمداد تام على إطلاقه.
فللأرض إمدادين اثنين :
1 – إمداد لها في بدء الخلق للسماوات و الأرض لقوله تعالى : "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19)" فلو كان إمدادها حال كونها كروية لكان ذكر تكويرها متضمن لإمدادها و مغن عن ذكر إمدادها لأنه أتبعه بإلقاء الرواسي الذي يعني أنها لم يكن فيها عوج و لا أمت قبل إلقاء الرواسي فالذي يكون كروي تماما دون رواسي يكون باللزوم متضمن للتسطيح الذي يرى بالبصر المحدود لكنه لم يذكر كرويتها قبل إلقاء الرواسي فعلم حينئذ أن إلقاء الرواسي كان حال خلقها ممددة الشكل لا كروية.
فههنا أمور أربعة:

الأول : أن معنى التكوير إذا جعل على جسم يعني جعله كروي و هو يمنع مطلق التسطيح إذا كان الجسم صغيرا و يمنع التسطيح المطلق إذا كان كبيرا كالأرض.

الثاني : أن التكوير إذا جعل على الجسم الكبير قبل إلقاء الرواسي يدل على أمرين : الأول كروية الشكل المانع للسطحية و الثاني السطحية بالبصر المحدود.

الثالث : أن التسطيح و الإمداد و الدحو و البسط إذا جعل على جسم يدل على جعله مسطح و هو يمنع مطلق الكروية إذا كان الجسم صغيرا و يمنع الكروية المطلقة إذا كان كبيرا.

الرابع : أن التسطيح و الإمداد و الدحو و البسط إذا جعل على الجسم الكبير قبل إلقاء الرواسي يدل على أمرين : الأول سطحية الشكل المانع للكروية و الثاني السطحية بالبصر المحدود المانع لمطلق الكروية.

فكل من التسطيح و الإمداد و الدحو و البسط و الكروية إذا أضيف إلى الأرض قبل إلقاء الرواسي يدل على السطحية بالبصر المحدود فهو من المتشابه الذي لا يعول عليه ابتداءا.

و التكوير وحده قبل إلقاء الرواسي هو الذي يدل على كروية الأرض

و الإمداد وحده قبل إلقاء الرواسي هو الذي يدل على سطحية الأرض فانتبه.

فلما لم يذكر إلا خلق الأرض ممددة قبل إلقاء الرواسي دل على سطحية شكلها و سطحيتها بالبصر المحدود قبل إلقاء الرواسي.

فتأمل قوله تعالى : "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10)" الذي يدل على أن إلقاء الرواسي كان بعد خلقها في يومين و قوله : "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19)" يدل على أن إلقاء الرواسي كان بعد إمدادها.

فإمداد بدء الخلق هو من حيث الشكل فجعلها مسطحة غير كروية.

2 – إمداد يوم القيامة لقوله تعالى : {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} فهو إمداد على إمدادها و هو قوله تعالى : "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107)" فلما انتفى هذا الوصف قبل يوم القيامة عُلم أن إمدادها الأول هو الذي جعلها مسطحة غير كروية الشكل و إلا لكان ذكر تسطيحها و إمدادها الأول لا فائدة منه تعالى الله وتنزه عن ذلك سبحانه فهو لم يكن قد خلق من يعيش عليها و يرى إمدادها على حد بصره بعد فلابد من حمل الوصف الأول على الشكل الأولي الذي يعلمه الله دون خلقه و هو الذي أخبرنا عنه رب الأرض بأنه الإمداد فلو جُعل كرويٌّ لاحتيج إلى قرينة تصرف معناه إلى معنى لا يحصل إلى بعد خلق الخلائق ليسكنوا فيها و يرونها على حد أبصارهم و هذا محال، و كذلك لو كان الإمداد الثاني يتعلق بقدر زائد على إزالة ما علا على سطحها و هو زوال كرويتها لكان ذكره أولى من ذكر نسف الجبال و تسطيحها بحيث لا ترى فيها عوجا و لا أمتا خاصة في سياق ذكر أهوال يوم القيامة و لقد ذكر كثير منها مما يتعلق بغير الأرض مما نراه و مما لا نراه فقال : "إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1)" و قال : "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)" فلما لم يذكر في إمدادها الثاني ما يزيد على زوال ما علا على سطحها و لم يذكر أحد من السلف هذا المعنى علم أنها كانت ممددة من قبل على الأصل الذي ذكر أنها خلقت عليه أول مرة و قال : "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104)" فلا شك أنه يعيد الأرض كما بدأها أول مرة فالإمداد الثاني الذي يقع يوم القيامة هو كالإمداد الأول الذي وقع قبل إلقاء الرواسي و هو بدون شك إمداد مطلق لا كروية فيه و لا عوج يرى فيه.

3- **الشبهة الثالثة :**

قولهم : إن الله تعالى يقول : "وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) "

قالوا : لو كانت الأرض مستقيمة لقال : (من كل فج بعيد) لأن كلمة بعيد تفيد المسافة بين شيئين على مستوى واحد، و لما كانت الأرض كروية كان القادمون إلى مكة المكرمة يأتون من بقاع عميقة بالنسبة لها و جعلوا هذا التفسير عظيما يدل على عظمة القرآن و الإعجاز فيه.

- **الرد :**

إن المؤذن لا يؤذن من أعلى إلى أسفل بل إنما يؤذن لمن يقابله أو يعلو عنه لأن حركة الصوت تكون من أسفل إلى المقابل أو العالي و لذلك كان القدامى يجعلون طواقم عروض المسارح أسفلها لأن الصوت يصعد و لا ينزل.

و الفج هو الطريق الواسع بين جبلين (قاله الليث) المسلوك على الأرض كما قال تعالى : "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (19) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (20)"

و العمق هو البعد القاطع للطول و العرض، و منه سمي عمق البئر عمقا لأنه البعد القاطع لقرص فوهته و عمق البحر عمقا لأنه قاطع لبعدي سطح البحر فهو دائما قاطع للأبعاد التي توجه إليها الناظر و قابلها و لذلك يعبر عن عمق البناء ببعده الداخل في الأرض بنظرة علوية و ببعده القاطع لواجهته بنظرة مجابهة فلابد في استعمال العمق من نظرة ناظر.

و لا يشك أحد أن النظر إلى آت راجل أو راكب من طريق بين جبلين هو نظر بنظرة مقابلة للمؤذن قاطعة لواجهة المؤذن

لا للأرض و عليه يقول المؤذن إن الفج الآتي منه الراجل الآتي عميق فـ "عميق" أخص من "بعيد" فالبعد يكون بين نقطتين لا مركزية لأحدهما على الآخر بينما العمق هو بعد بين الناظر المواجَه بالإتيان و هو المؤذن إبراهيم عليه السلام الذي يعتبر المركز في هذه الحالة و بين الآتي من كل فج عميق.

و على كل حال فإن الآية تدل على سطحية الأرض لا كرويتها لأمور هي :

1 - أن العمق لا يكون إلا مستقيما

2 – أن الفج لا يكون إلى على سطح الأرض

فإذا كان الآتون للحج يأتين من كل فج عميق فهم إذن آتون من كل طريق على سطح الأرض يكون مستقيم بالنسبة للمؤذن متوجه إليه و هذا يعني أنه مهما بعدوا عن المؤذن فإن مأتاهم على سطح الأرض مستقيم لا انحناء فيه لأنه قطعا لا يكون الطول عمقا إن لم يكن بعدا و لا يكون بعدا إن لم يكن مستقيما غير ذي انحناء، و إن كانت جميع الطرق إلى مكة مستقيمة غير منحنية فهذا يدل على أن الأرض غير كروية بشكلها العام.

ثم نقول لأصحاب هذه الشبهة : كيف تقولون إن كروية الأرض تجعل القادمين إلى مكة المكرمة يأتون من بقاع عميقة بالنسبة لها ؟ هل تقصدون أن الفجاج التي يسلكونها تكون داخل الأرض فإن كان مرادكم هذا فلا يصح تسميتها فجاجا و إن قلتم على سطح الأرض مع إصراركم على كرويتها لزم أن يكون العمق منحنيا كلما ابتعدنا عن مكة و لا يمكن للعمق أن يوصف بالإنحناء.

فإن قلتم هو لا يبدو لناظره انحناءه قلنا إن خالق الأرض سماه عميقا مهما بعد عن المؤذن و هو يعلم حاله و هذا يكفي للقطع باستقامة الطريق على الأرض من بقاع الأرض إلى مكة و للقطع بسطحية الأرض إذ لم تكن كروية.

4- **الشبهة الرابعة :**

قالوا : إن في قوله تعالى : " وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) " و قوله : "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19)" و قوله : "وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6)" و قوله : "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً" و قوله تعالى : "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6)" و قوله : "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (19)" و قوله : " وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48) " كل هذا أجمع المسفرون أن فيه معنى الإمداد و التسطيح و هذا يعني أنك مهما تحركت على الأرض فستجدها مسطحة لا حافة لها و لو كان لها حافة لإمتنع أن تجدها مسطحة دائما و هذا لا يكون إلا في أرض كروية.

- **الرد :**

إن إضافة كل الدحو و البسط و الإمداد و الطحو و التفريش و التمهيد في هذه الآيات و ما شابهها إنما كان لله لا لرؤية الناس و وجدانهم فهو لم يقل "تراها مسطحة" بل قال "سطحت" و "مدّت" لما بنى الفعل لما لم يسمى فاعله و "مددناها" و "فرشناها" و "طحاها" و "دحاها" لما بناه للفاعل و كذلك في بناء السماء لم يقل "تراها مبنية" بل قال "بنيناها" و قال "و إلى السماء كيف رفعت" و لما أراد أن يعبر عما يجده الناس قال : " وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27) " و قال : " حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) " و قال : " حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا " و لما أراد أن يعبر عما جعله الله قال : " حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (90) " فرق بين ما وجده ذو القرنين فقال : "وجدها تطلع على قوم" و بين ما جعله الله فقال : "لم نجعل لهم من دونها سترا" سواء وجده أم لم يجده، و كذلك في قوله تعالى : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) " و قوله تعالى : " اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا " فأضاف الرفع إليه سبحانه و أضاف انتفاء العمد لرؤية العباد المحدودة إخبارا لا حثا فدل على وجود العمد و لكنها تخفى على العباد برؤيتهم تلك وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله { بغير عمد ترونها } يقول : لها عمد ولكن لا ترونها يعني الأعماد كما في قوله : " وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88) " و قوله : " وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5)" فكونه يراها هامدة لا يعني أنها غير قابلة للنبات و هكذا فإن إضافة الفعل له يدل على تمام صنعه كما قال : " وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48) " و لا علاقة له بما يجده الناس فقد يجدونه و قد لا يجدونه و يحسبون أنه على خلاف الواقع كما قال : " وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88) ".

فإجماع المفسرون على أن المعنى التسطيح هو ما نثبته نحن و أما كون الإنسان لا يرى للأرض حافة لا يعني أنها ليس لها حافة فعدم العلم بالشيء ليس علم بعدمه و قد أشار تعالى إلى الحافة التي ينكرها أصحابنا في قوله : " اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا " فالحافة هي عمد السماء الأولى وعدم رؤيتها طبيعي لما كانت الأرض واسعة.

وأخرج ابن جرير عن اياس بن معاوية - رضي الله عنه - في قوله { رفع السماوات بغير عمد ترونها } قال : السماء مقبية على الأرض مثل القبة.

فتأمل هذه الآيات : (المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (1) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3)]

قال القرطبي في تفسيره : قوله تعالى : **(وهو الذي مد الأرض)** لما بين آيات السماوات بين آيات الأرض أي بسط الأرض طولا وعرضا (وجعل فيها رواسي) أي جبالا ثوابت واحدها راسية لأن الأرض ترسو بها أي تثبت والإرساء الثبوت قال عنترة : فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو إذا نفس الجبان تطلع وقال جميل : أحبها والذي أرسى قواعده * حبا إذا ظهرت آياته بطنا وقال بن عباس وعطاء : أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس

مسألة :

في هذه الآية رد على من زعم أن الأرض كالكرة ورد على من زعم أن الأرض تهوي أبوابها عليها وزعم بن الراوندي أن تحت الأرض جسما صعادا كالريح الصعادة وهي منحدرة فاعتدل الهاوي والصعادي في الجرم والقوة فتوافقا وزعم آخرون أن الأرض مركبة من جسمين أحدهما منحدر والآخر مصعد فاعتدلا فلذلك وقفت والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القول بوقوف الأرض وسكونها ومدها وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها.اهـ.

و قال في سورة الحجر : قوله تعالى : (والأرض مددناها) هذا من نعمه أيضا ومما يدل على كمال قدرته قال بن عباس : بسطناها على وجه الماء كما قال : والأرض بعد ذلك دحاها النازعات أي بسطها وقال : والأرض فرشناها فنعم الماهدون الذاريات **وهو يرد على من زعم أنها كالكرة وقد تقدم**. اهـ

هذا، ... و غيرها من الشبهات التي يرددونها لا تخرج عن كونها استنادا للمتشابه لا المحكم الذي يجب رده إليه و لو ردوه للمحكم و لفهم السلف له لوجدوها أولى بالدلالة على سطحية الأرض.

و نختم بأبيات من نونية القحطاني إذ قال :

(كذب المهندس والمنجم مثله % فهما لعلم الله مدعيان)

(الأرض عند كليهما كروية % وهما بهذا القول مقترنان)

(والأرض عند أولي النهى لسطيحة % بدليل صدق واضح القرآن)

(والله صيرها فراشا للورى % وبنى السماء بأحسن البنيان)

(والله أخبر أنها مسطوحة % وأبان ذلك أيما تبيان)

(أأحاط بالأرض المحيطة علمهم % أم بالجبال الشمخ الأكنان)

(أم يخبرون بطولها وبعرضها % أم هل هما في القدر مستويان)

(أم فجروا أنهارها وعيونها % ماء به يروى صدى العطشان)

(أم أخرجوا أثمارها ونباتها % والنخل ذات الطلع والقنوان)

(أم هل لهم علم بعد ثمارها % أم باختلاف الطعم والألوان)

(الله أحكم خلق ذلك كله % صنعا وأتقن أيما إتقان)

(قل للطبيب الفيلسوف بزعمه % إن الطبيعة علمها برهان)

(أين الطبيعة عند كونك نطفة % في البطن إذ مشجت به الماآن)

(أين الطبيعة حين عدت عليقة % في أربعين وأربعين تواني)

(أين الطبيعة عند كونك مضغة % في أربعين وقد مضى العددان)

(أترى الطبيعة صورتك مصورا % بمسامع ونواظر وبنان)

(أترى الطبيعة أخرجتك منكسا % من بطن أمك واهي الأركان)

(أم فجرت لك باللبان ثديها % فرضعتها حتى مضى الحولان)

(أم صيرت في والديك محبة % فهما بما يرضيك مغتبطان)

(يا فيلسوف لقد شغلت عن الهدى % بالمنطق الرومي واليوناني)

(وشريعة الإسلام أفضل شرعة % دين النبي الصادق العدنان)

(هو دين رب العالمين وشرعه % وهو القديم وسيد الأديان)

(هو دين آدم والملائك قبله % هو دين نوح صاحب الطوفان)

(وله دعا هود النبي وصالح % وهما لدين الله معتقدان)

(وبه أتى لوط وصاحب مدين % فكلاهما في الدين مجتهدان)

(هو دين إبراهيم وابنيه معا % وبه نجا من نفحة النيران)

(وبه حمى الله الذبيح من البلا % لما فداه بأعظم القربان)

(هو دين يعقوب النبي ويونس % وكلاهما في الله مبتليان)

(هو دين داود الخليفة وابنه % وبه أذل له ملوك الجان)

(هو دين يحيى مع أبيه وأمه % نعم الصبي وحبذا الشيخان)

(وله دعا عيسى بن مريم قومه % لم يدعهم لعبادة الصلبان)

(والله أنطقه صبيا بالهدى % في المهد ثم سما على الصبيان)

(وكمال دين الله شرع محمد % صلى عليه منزل القرآن)

و الحمد لله رب العالمين.